لا ترقى من حيث المعالجة والتشكيل الى مستوى رسوم الحرب ، كما لا تفلح في ان تعكس المزاج النفسي للاطفال بنفس الحرارة التي نراها في رسومهم الاخرى (خاصة رسوم الحرب). اذ غالبا ما تتضمن رسوم المخيم موقفا وصفيا فاترا اكثر منه موقفا حياتيا وانفعاليا . وربما عاد ذلك الى خلو الحياة العامة في المخيم من الحركة والديناميكية ، او لجفاف الطبيعة وخشونتها وقلة الوانها ، او لخضوع المخيم لانماط ضيقة من الاشكال والحركة والفعاليات المحدودة ، ولسيادة الروتين .

الوطن — والبيئة السابقة في رسوم الاطفال : لا تزال صورة القرية والارض قبل النزوح حية في أذهان غالبية الاطفال حيث تظهر كثير من الرسوم محاولات لاستعادة جانب من الحياة التي عاشها الطفل قبل النزوح . وتمثل رسوم عديدة هذا الجانب ، حيث موضوعات القرية والزراعة والحصاد تعطي اللون الاخضر مداه وتتعدد مستوياته ، وحيث تكشف هذه الرسوم عن صدق « طبوغرافي » وعشق خاص بالبيئة الاصلية ، التي هي مثار للتنوع والتعدد في خيال الطفل . لذلك لم يكن مستغربا ان نلحظ انعكاس البيئة على هذه الرسوم ، فنجد رسوما تتضمن اشجار البرتقال والنخيل عند اولئك الاطفال القادمين من أريحا او مخيم عين السلطان ، او نرى موضوعات الصحراء وآثارها والوانها في معالجات الاطفال القادمين من بئر السبع وقطاع غزة . ولا ريب ان « واقعية » هذه الرسوم و« صدقها » لا تعني حرفية هذه الرسوم او نسخها لصور البيئة ، اذ ان ذلك أبعد ما يكون عن رغبة الطفل وحبه للتعبير بالالوان . ولعل أشد التعابير عن البيئة الاصلية حرارة في ذاكرة الطفل ، رسومه للمنازل ذات الاشكال المربعة ، والتي تشف عمن بداخلها ، وحيث تحيطها الطبيعة باطار أخضر من الاشجار . وثمة رسوم أخرى ذات قيمة زخرفية عالية ، تمثل غرفا زهرية او خضراء اللون ، تتوسطها مائدة تحمل آنية ورد وبضع كراسي ، وتظهر بلاطات الغرفة الملونة ، ويقف وراء هذه الرسوم — التي تتيح لنا قدرا من الرغبة الطفولية في اختراق الصورة — فتيات صغيرات كثيرات العناية بالحياة المنزلية الهادئة . ان صور البيئة الاصلية — الوطن في هذه الرسوم ، تشكل نبعا خصبا لذاكرة الطفل الحية ، فلا يملك الا ان يؤكد ان منزله كان يوما هكذا ، وينكب على عشرات التفاصيل كأنما يصر على ان صورة منزله لا يمكن ان تنسى .

الاطفال والفدائي : الموضوع الاثير عند الاطفال هو الانسان ، والانسان عند الاطفال هو الفدائي ، فهو المعادل الموضوعي للجانب الاخر من صورهم ، الجانب السلبي والمأساوي . والاطفال عندما يعنون برسم الفدائي ، انما يعنون به من خلال انفعالهم الوجداني بالبطولة والشجاعة ، ومن ثم فهو « سوبرمان » اطفال المخيم ، القادر على اقتناص المجنزرة وكمائن العدو واحيانا الطائرات . وهو عندهم رمز للحركة والتهيؤ لعمل شيء ، ومن ثم فهو قلما يتخذ — في رسومهم — وضعا ساكنا ثابتا وانما هو غالبا في وضع قتالي ، فهو يتخذ وضع كمون او انقضاض ، حيث الظهر منحن والقدمان منفرجتان ، والسلاح في يده . وتتدخل نزعة الطفل الجمالية في تعميم بعض الظواهر المحببة ، اذ نلاحظ تكرر رسوم الفدائي الملتحي ، كما تشيع ثيابه الموهة والمرقشة رغبتهم في التلوين .

ان الجو النضالي العام الذي يعيشه اهالي المخيم دفع الاطفال الى التأثر بهذا الاتجاه في رسومهم . فالفدائي هو البديل للجانب المهزوم من الحرب المشتعلة يوميا . والفدائي اولا واخيرا ليس غريبا عنهم ، فهو ابن المخيم ، وقد نشأ بينهم ، وهم يعرفونه ، اذ هو يأتي بين الحين والاخر الى المخيم ، وعلى كتفه سلاحه السحري سريع الطلقات ، ولا بد ان تتاح لهم الفرصة ليسمعوا منه عن حياة الفدائيين وقتالهم .

ان رسوم الاطفال عن قتال الفدائي تعبر عن موقف ومزاج نفسي مختلف ، اذ ان موقفهم ازاء هذا « البطل » الذي يتحرك بينهم ، والذي يعرفونه بقسماته وباسمه ، واعجابهم أصلا بفكرة الفداء والشجاعة ، واتساق شكل الفدائي ، وملابسه مع حسهم الجمالي العام ، يكسب رسومهم معاني جديدة لم نعرفها في رسوم الحرب . فلا يروا « الحرب الجديدة » كما رأوها في حزيران ، انه النموذج الذي سيجند الاطفال من اجله كل امكاناتهم السحرية وحيلهم وحماستهم المجانية ليكون في وضع المنتصر دوما . ان المعارك التي يخلقونها على الورق تعكس هذا المزاج العام للاطفال ، فالفدائي احيانا اكبر حجما من اعدائه المتضائلين ورصاصه لا يطيش ، وهو ايضا متماسك الشكل ثابت (كتمثال اشوري) ومستعد للقتال . وهو حينا